التأثير الحضاري الأندلسي على فن العمارة الاسلامية بالجزائر "الحدائق والمتنزهات أنموذجا"

أ./ بوقاعدة البشير

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

مقدمة :

لقد كان الرقي الحضاري الذي أضحت عليه البلاد الأندلسية خلال العصر الوسيط خصوصا حين بلغ حدّ الدروة خلال القرن السابع للهجرة (13م) وفي طليعته الفن المعماري الأندلسي، منارة تستضيئ من نور حضارتها شعوب البلاد المجاورة وفي مقدّمتها البلاد المغربية ومنها المغرب الأوسط. إذ كان لذلك الاحتكاك الثقافي بين العلماء والفنانين وغيرهم من النخب العلمية التي كانت تزخر بهم بلاد المغرب والأندلس على حدّ سواء، وكذا لتلك الحركة النشيطة للعلماء المتنقلين بين بلدان العالم الاسلامي آنذاك دورا فعالا ساهم في اثراء النهضة الفنية بأرض المغرب الأوسط. وذلك من خلال الاقتباس الفني الذي انتصب له الفنانون المغاربة بما نقلوه إلى مواطنهم الرئيسة من خبرات ومهارات فنية، ناهيك عن هجرة الفنون الأندلسية بانتقال أصحابها من بلادهم إلى المغرب الأوسط في شكل جماعات ، أو أفراد في ظل سياسة حكام هذه البلاد الرامية لإضفاء الرونق الجمالي على طابع العمارة الاسلامية المغربية باستقدامهم للفنانين والمهندسين المعماريين الأندلسيين للاستفادة من فنونهم وخبراتهم.

بيد أن التأثير الكبير للحضارة الأندلسية على العمارة الاسلامية وفنونها بالمغرب الأوسط قد برز بشكل جليّ بعد سقوط بلاد الأندلس في يد النصارى المسيحيين وتفرُّق المسلمين الأندلسيين -وفي زمرتهم طلبة العلم والعلماء والفنانين- بين بلدان العالم الاسلامي وكانت أرض المغرب الأوسط "الجزائر" في طليعة المناطق المغربية التي استقطبت الجماعات الأندلسية التي من ضمنها النخب العلمية والفنية. هذه الأخيرة التي تركت صماتها الفنية على العمارة الاسلامية الجزائرية في العصر الوسيط في العديد من مظاهرها كالقصور والمساجد والحدائق والمتنزهات، والتي لا تزال بعض أثارها شاهدة إلى الآن.

وعليه، فقد شدّ انتباهنا ذلك النمط المعماري الفني الذي جسّدته الحدائق والمتنزهات الجزائرية في العصر الوسيط، تلك التي كانت بتأثير فنيّ أندلسيّ.

فأوليناها جانبا من اهتماماتنا بالدراسة كأنموذج من نماذج التأثير الفني الأندلسي على عمارة المغرب الأوسط، سعيا منّا لتسليط الضوء على ذلك التطور والذوق الفي الرفيع الذي طبع عملية تخطيط وتصميم وبناء الحدائق والمتنزهات الجزائرية، وتزيينها في الفترة الوسيطة حتى مطلع العهد العثماني. بكل ما اشتملت عليه من أبعاد ثقافية وفنية التي ميّزت جلّ أشكالها وأنماطها، وكانت تتزيّن بها فحوص مدن المغرب الأوسط "الجزائر" على غرار الأفنية الداخلية للمنازل والقصور، والحدائق العامة والمزارات. وما كانت تُضفيه هذه المنشآت الفنية من صبغة جمالية ورونق بخضرتها وبساتينها المختنقة الفسيحة على المدينة الجزائرية، وما تبعثه من سرور لمن يقع نظره عليها لجمال منظرها. حتى أضحت أيّ مدينة من مدن الجزائر الاسلامية لا يمكنها الاستغناء عن هذا المظهر المعماري الفني حدائقا كانت أو متنزهات، لاستكمال العناصر الفنية الجمالية التي تقتضيها الهندسة المعمارية للمدينة الجزائرية. وعليه، كان لزاما علينا بداية رسم ملامح دراستنا من خلال ما نروم معالجته من اشكاليات على ضوء ما طرحناه من أسئلة. فما المقصود بالحدائق والمتنزهات يا ترى ؟ وما أبرز أنماطها وخصائصها الفنية والمعمارية ؟ وإلى أيّ حدّ تأثرت الفنون المعمارية الجزائرية (الحدائق والمتنزهات) بالفنّ الأندلسي ؟ وما الأهمية التي تكتسيها هذه الحدائق والمتنزهات من الناحية الجمالية بالنسبة للمدينة الاسلامية والترفيهية للعناصر البشرية؟ وما مظاهر ذلك ؟ وإلى أيّ حدّ لقيت اهتماما وعناية من طرف ساسة البلاد على اختلاف التشكيلات السياسية التي تعاقبت على حكم المنطقة ؟

1- تعريف الحدائق والمتنزهات الإسلامية :

الحديقة في اللغة -كما جاء في لسان العرب لابن منظور- هي من الرياض، أي كل أرض استدارت وأحدق بها حاجز أو أرض مرتفعة. وهي ايضا أرض ذات شجر مثمر ونخل. وقيل : هي البستان والحائط. وقيل : القطعة من الزرع، وكل بستان كان عليه حائط فهو حديقة' وما لم يكن عليه حائط لم يقل له حديقة. ويرادف عند ابن منظور لفظ الحديقة مدلول الجنة إلى حدّ كبير مع الاختلاف البسيط في العناصر التي تضمّهما كليهما. فالجنّة تمتاز بالشجر والنجل، وجمعها جنان[1]. وبناءً على هذا التعريف اللغوي للحديقة، نلحظ أن الذي يميّز الحديقة عن أي مساحة خضراء، هو الاهتمام بذلك الفضاء من خلال احاطته بسور والعناية

1- جمال الدين ابن منظور : لسان العرب المحيط، مج2، قدم له، يوسف خياط، دار الجيل و دار لسان العرب، بيروت، 1408هـ-1988م، ص 90.

بأشجاره وتنظيم مواضع نباتاته وتنويع أشجاره وترتيب صفوفها، ما يجعل ذلك المكان يلفت انتباه الناظر ويشدّه إليه شدّا، وإلاّ كانت كغيرها من المراعي والبساتين الخضراء. وهو ما أقرّه الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد في مصنّفه المفردات في غريب القرآن، حين ذكر أن الحدائق ذات البهجة جمع حديقة وهي قطعة من الأرض ذات ماء سُميت تشبيها بحدقة العين في الهيئة وحصول الماء فيها وأحدقوا أحاطوا به تشبيها بإدارة الحدقة[1].

والحديقة من خلال المفهوم الاسلامي هي المساحة المخططة والمنظمة المتّصلة بالخارج التي يكسوها غطاء أخضر. وهي واحة تعجّ بالحياة خدمة للإنسان وحتى الحيوان كالطيور وغيرها من المخلوقات، تفوح بعطر الأعشاب والنباتات، وفواكه ما بها من أشجار[2]. وترقى الحديقة في نظر صفي الدين حامد إلى ذلك التصميم الذي رسمه المسلم لتجسيد المعاني والرموز الدينية من خلال توظيفه لعناصر حسية وتركيزه على غايات عميقة الجذور في التعاليم الاسلامية لتقريب الزائر إلى الله، ولتشكيل رسالة دينية دنيوية عمّا سيلقاه المؤمنون في الجنة[3]. ولا ريب أنّه هنا، قد استوحى ما ذهب إليه من تلك المعاني السامية التي جاء بها القرآن الكريم لتصوير النواحي الجمالية للحياة الأبدية التي وعد الله عز وجل بها عباده المؤمنين في ظل نعيم الجنة. أمّا المتنزهات فتعني في غالب الأحيان مجموعة الحدائق التي صُمّمت في حُلّة خضراء تهدف إلى منح المجتمعات الاسلامية فضاء مخصّصا للراحة والترفيه.

والحدائق الاسلامية التي عرفتها حواضر الجزائر في الفترة الوسيطة ومطلع العصر الحديث مع بداية العهد العثماني بالجزائر كانت على نوعين، حدائق عامة جارج جدران الأبنية والمنازل تكون في غالبها موجهة للاستجمام والاستمتاع بجمال الطبيعة وتزيين محيطها، وحدائق خاصة بالمنازل تخصّ مالكيها أو بالقصور لتزيينها وبعث الراحة لأهلها، ومتنزها لهم وللأسرة الحاكمة، وغير متاحة للزوار.

1- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن، ج1، مكتبة نزار مصطفى الباز، ص145.

2- شفيق أمين بعارة : "الحديقة في العمارة الاسلامية دراسة تحليلية لمدلولها الرمزي و وظيفتها المعمارية"، أطروحة ماجستير في الهندسة المعمار193
ية، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، 2010، ص14.

3- شفيق أمين بعارة : المرجع السابق، ص 14.

2- نشأة الحدائق الاسلامية وتطورها:

اهتمّ المسلمون بهذا الفن المعماري منذ البدايات الأولى لظهور الاسلام وأولوه عناية كبيرة. فقد حثّ ديننا الاسلامي الحنيف على ضرورة الاهتمام بالغطاء النباتي بحرث الأرض وغرسها بالنباتات والأشجار المثمرة والحفاظ على اخضرارها واستمرارية الحياة النباتية بها، ومن ثمّ اتخاذ الحدائق والبساتين وتكثيف أشجارها المثمرة، هذه الأخيرة التي تُمدّ بالظل[1]، كما ورد في آيات كثيرة من القرآن الكريم، على غرار قوله تعالى (واللّه جَعلَ لَكُمْ ممّا خَلقَ ظلالاً وجَعلَ لَكُمْ منَ الجبَال أَكْنانًا وجَعَلَ لَكُمْ سَرابيلَ تَقيكُمْ الحرَّ وسَرابيلَ تَقيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذلكَ يُتمُّ نعمتَهُ عَليكُمْ لَعلَّكُمْ تُسْلمُون)[2]. وهذا الظل من خلال التصوير القرآني يبعث في الحقيقة على الدور الجمالي الذي تمثّله الشجرة ويُضاف إلى فوائدها الأخرى[3]. فلا تقتصر عندئذ الفائدة من الاهتمام بالتشجير المثمر على ما تذره من فوائد غذائية بل تتعداها إلى المنفعة المعنوية أيضا في توفير الظل والراحة وتلطيف الهواء. ثمّ تطور هذا الاهتمام بالجانب الجمالي للمدينة ومنها الحديقة مع تطور الدولة الاسلامية وازدهار حضارتها واتساع رقعتها واطلاعها على المظاهر الحضارية للشعوب المجاورة واستلهام منها ما يخدم الحضارة الاسلامية ولا يتنافى ومبادئ الدين الاسلامي. ولعل الاهتمام بالحدائق ينمّ عن ذلك السلوك المعنوي الذي يرسم صورة شوق الفرد المسلم لجنة الفردوس.

ففي عهد النبي صلى اللّه عليه وسلم اعتنى المسلمون بالزراعة خاصة أشجار النخيل، ثم مع الازدهار الاقتصادي الذي عرفته الدولة الأموية ظهرت الحدائق الاسلامية التي كان القصد من انشائها الوظيفة الجمالية، حين أقام القائمون عليها بداخلها بركا مائية وكثّفوا أشجارها وزخارفها، ومع عهد بني العباس ازداد تطور الحديقة الاسلامية من حيث المساحة والمكونات والتفاصيل والعناصر المعمارية، كما ازداد أيضا اهتمام أهل المغرب الاسلامي بفن بناء الحدائق، حتى وإن لم يبلغ ما عرفته بلاد الأندلس من تطور وجمال في ذلك المجال، إلى أن حدث ذلك الاحتكاك الثقافي بين حضارتي المغرب والأندلس، ما

1- للمزيد من التفصيل حول معاني لفظ الظل والظلل في القرآن العظيم، أنظر : الراغب الأصفهاني : المصدر السابق، ص409.

2- سورة النحل : الآية 81.

3- أنظر شرح الآية الكريمة، عبد الرحمن بن ناصر السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تقديم، عبد بن عبد العزيز بن عقيل ومحمد الصالح العثيمين، مؤسسة الرسالة، للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1420ه /1999، ص 398.

جعل الحدائق المغربية ومنها الجزائرية تحاكي بأشكالها البديعة نمط العمارة الأندلسية في مجال الحديقة[1].

3- العمارة والفنون الاسلامية بمدن المغرب الأوسط (نماذج) :

عرف المغرب الاسلامي في عصره الوسيط اهتماما بالغا بالعمارة تفاوت من كيان سياسي لأخر، وقد تجلى في البداية مع تأسيس مدينة تيهرت من طرف عبد الرحمن بن رستم خلال الفترة الممتدّة بين سنتي 155هـ/773م و160هـ/776م[2]. وما لبثت المدينة أن عرفت تطورا وتوسعا عمرانيا كبيرا في ظل الرخاء الاقتصادي والمقومات الطبيعية التي تحوزها المنطقة، على غرار وفرة المياه وملاءمة المناخ. فأقام أهلها المباني واختاروا لها المواضع المجاورة للمساجد وحول القصور وفي المناطق المحاذية للأنهار[3]. ثمّ شرعوا كما يذكر ابن الصغير في إحياء الأموات، وغرس البساتين، وإجراء الأنهار، واتّخاذ الرحاء والمستغلات، فاتّسعوا عندئذ في البلد وتفسّحوا فيها و"أتتهم الوفود والرفاق من كلّ الأمصار وأقاصي الأقطار"[4]. وفي ظل وفرة المياه بمواضع المدن أقام فيها القائمون عليها نواعير عديد لجلب المياه من الأنهار إلى المنازل والمساجد والحدائق.

أما في مجال اهتمام بني رستم بالجانب الجمالي للمدينة كإقامة الحدائق للزينة والترفيه فلم تشر المصادر التاريخية إلى اهتمامهم البالغ بهذا المجال في الوقت الذي عنوا ببناء القصور والمباني الجميلة، وإقامة البساتين الغنية بالأشجار المثمرة التي تحتوي جميع الثمار، حتى قيل عن سفرجلها أنه يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعما وشمّا[5].

أما في العهد الحمادي فقد عرفت العمارة الاسلامية الجزائرية تطورا ملحوظا، ذلك الذي تجلى في نمط عمران مدينة القلعة التي اختطّها حماد بن

1- شفيق أمين بعارة : المرجع السابق، ص107.
2- إبراهيم بحاز : الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية المطبعة العربية، غرداية، 1994، ص86.
3- رشيد بورويبة : «الفن الرستمي بتاهرت و سدراتة»، مجلة الأصالة، العدد 41، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1397هـ-1977م، ص 182.
4- ابن الصغير المالكي : أخبار الأئمة الرستميين، تح، محمد ناصر وإبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986، ص 32.
5- مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، العراق، و دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1986، ص129.

بلكين سنة 398هـ/1007-1008م[1]، هذه المدينة التي أخذ عمرانها في التوسع فبنيت القصور العظيمة بها، وحفت بالبساتين والحدائق والمتنزهات والمزارع الجميلة المليئة بالأشجار المثمرة من مختلف الأصناف، تخترقها مجاري المياه، حتى أضحت "من أكبر البلاد قطرا وأكثرها خلقا وأغزرها خيرا وأوسعها أموالا، وأحسنها قصورا ومساكنا"[2].

أما مدينة بجاية الحمادية، تلك المدينة العتيقة الواقعة على منحدر جبل شاهق على ساحل البحر المتوسط التي خطّها الأمير الحمادي الناصر بن علناس وجدّد بناءها سنة 460هـ/1067م وسمّاها الناصرية[3]. ثم عمل على تحصينها فأحاطها بالأسوار المتينة العالية، فأضحت عندها المدينة من أهم موانئ الدولة الحمادية. فبعدما كانت ميناء بحريا لمدينة القلعة أصبحت خلال القرن 06هـ/12م مرسا كبيرا تصله السفن من مختلف البلدان، وحاضرة اقتصادية وثقافية تقصدها النخب العلمية والفنية من كل حدب وصوب[4].

وكذلك مدينة تلمسان، هذه المدينة التي دخلها إدريس الأكبر على عهد الدولة الادريسية عام 173هـ/789م وبنى مسجدها. ثم أخذ عمران المدينة في التوسع والتطور ليبلغ ذروته أيام الدولة الزيانية التي اتّخذت من المدينة عاصمة لها[5]. وترد المدينة عند الرحّالة والجغرافيين بأنّها مدينة كبيرة جميلة عامرة بالسكان، مقسومة إلى اثنين يفصل بينهما سور، وبها جوامع عجيبة وأسواق عديدة قائمة. وهي كثيرة العلماء ومقصد طلاّب العلم من كلّ جهة ومكان[6]. كما كانت المدينة

1- عبيد بوداود : «مساهمة علماء القلعة في الحياة الفكرية ببجاية خلال القرن السابق الهجري (13م)»، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد العاشر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1430هـ-2009م.

2- الإدريسي : الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1414هـ-1994م، ص255.

3- يحي بوعزيز : «مركز بجاية الحضاري ودوره في إثراء الحضارة العربية الإسلامية. . . »، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأوّل، المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، 1414هـ-1993م.

4- مجهول : الاستبصار، ص 129. الحسن بن محمد الوزان الفاسي : وصف افريقيا، ج2، ترجمة، محمد حجي و محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص50

5- يحي بو عزيز : تلمسان، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص15.

6- أنظر : محمد العبدري البلنسي : الرحلة المغربية، تح، أحمد بن جدو، نشر كلية الآداب الجزائرية، الجزائر، ص 09-11.

محاطة بالأسوار المرتفعة، ذات القصور البديعة ببساتينها وسقاياتها المبنية بعناية تامة وأسلوب فني رائع حتى عُدّت قاعدة المغرب الأوسط[1].

ومن خلال ما سبق تبيّن لنا أن بلاد المغرب الأوسط عرفت حركية كبيرة في مجال تشييد العمارة الاسلامية، وكانت المدن التي شيدوها على نمط العمارة الاسلامية تبرز مدى اهتمام الكيانات السياسية القائمة آنذاك بالجانب العمراني وفنونه، حيث كانوا يستقدمون لأجل ذلك الفنانين والمهندسين المعمارين من المناطق المجاورة ومن بلاد الأندلس. ولعلّ الدور الفسيحة والقصور الشاهقة والمساجد البديعة والقلاع الحصينة والساحات الواسعة التي عرفتها مدن المغرب الأوسط على غرار القلعة وبجاية وتلمسان لدليل على ما بلغه العمران الاسلامي بالجزائر من تطور خلال العصر الوسيط. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هل حظي فن بناء الحدائق الاسلامية والمتنزهات لذى القائمين على تلك المدن والكيانات باهتمام بالغ أم أغفلوا هذا الجانب من العمارة؟ وهو ما سنجيب عليه فيما سيأتي من هذه الدراسة.

4- الحديقة الأندلسية :

بعدما تمكّن المسلمون من إحكام سيطرتهم على شبه الجزيرة الأيبيرية مع مطلع القرن الثامن الميلادي سمح ذلك للمسلمين الأندلسيين ببناء حضارة اسلامية عرفت تطورا كبيرا بلغ ذروته مع القرن الثالث عشر الميلادي. وقد مسّ هذا التطور مختلف جوانب الحياة إلى درجة الاهتمام الفائق بجمالية العمارة الاسلامية، هذه الأخيرة التي أضفوا عليها طابعا خاصا ميّزها عن غيرها، ومن ذلك ما جسّدوه في مجال بناء الحدائق والمتنزهات التي تتخلل فحوص المدن وتحفّ القصور والمنازل والمساجد، على غرار الروائع المعمارية الاسلامية الأندلسية المُجسّدة بمسجد قرطبة. هذه الروائع التي ظلّت شاهدة على عظمة ما وصله الفن العمراني الاسلامي بهذه البلاد، وما أبدعه فنانوها [2]. بيد أن النصوص التاريخية والجغرافية -خاصة الأندلسية منها- على الرغم من غناها بالإشارات المتعلّقة بما تزخر به الأندلس من حدائق، إلاّ أنّها شحيحة في نفس الوقت عن وصف تلك الحدائق بل، وكذا التفصيل في مكوناتها وأساليب

1- الوزان الفاسي : المصدر السابق، ص 20.
2- سلمى الخضراء الجيوسي : الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1998، ص850.

تخطيطها، وتحديد طرق العناية بها والقائمين عليها، وعمليات تجديدها، عدا ذلك النزر اليسير ممّا وقفنا عليه من مادة في ظل ما نحوزه من نصوص.

وعليه، فقد تميزت هذه الحدائق الأندلسية بالأشجار العالية المرصوفة إلى بعضها البعض مُشكلة سدّا حصينا يبعث بالراحة والاطمئنان. وانتشرت في سفوح الجبال وجنبات الهضاب وحول القصور. كقصر الحمراء في غرناطة الذي يعتبر من أكثر معالم الفن الاسلامي بالأندلس شهرة، كما تعدّ حدائقه من أبرع ما بُني في مجال الفنون المعمارية، لانسجامها الطبيعي مع الأفنية الداخلية، وغناها بالنباتات ذات الروائح العطرة والبساتين العريضة المستخلصة المخضرة. وحديقة قصر "الكازار" بإشبيلية، أكبر الحدائق الأندلسية خلال القرن الثاني عشر الميلادي. ولقد مثّل فنّ إقامة الحدائق على أفنية القصور وحول المساجد والمدن قمّة الحضارة العمرانية الاسلامية التي عرفتها الأندلس وبشكل أكبر خلال عهد ملوك الطوائف، ولعل ما تمّ بناؤه من حدائق زيّنت أفنية قصر الحمراء لخير شاهد على ذلك[1].

ومن أشهر حدائق غرناطة حدائق : "جنة العريف" التي تضم صفّا مزدوجا من النوافير بشكل مبدع، وبتنويع هائل وصفوف الأشجار المتناسقة التي توحي بتداخل بين الخط والظل، ناهيك عن الأشكال النباتية في شكل خطوط هندسية مكتوب عليها كتابات بالخطين الكوفي والنسخ. بالإضافة إلى حديقة قصر "الخفيرة" في سرقسطة التي أقيمت خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، والتي احتوت على بركتان في جانبين متقابلين من صحن القصر[2].

وفي ظل اهتمام خلفاء بني أمية بهذا الجانب كان أحد أولى الأعمال التي قام بها الخليفة عبد الرحمن بعدما ثبّت حكمه على قرطبة أن أقام بها حديقة حاكى من خلالها ما شاهده من حدائق دمشق، حتى قيل عنه أنّ جلب إليها النباتات من الهند وسوريا وبلاد الترك. وإليه أيضا يرجع الفضل في إدخال الياسمين والرمّان والزهور الايرانية الصفراء إلى الأندلس، وزرعت بأنحائها شتى أنواع الكروم والبساتين المترفة، وشقت قنوات المياه ومختلف مشاريع الري[3]. وكانت القصور المبنية خارج المدن، التي بناها الخلفاء الأمويون على غرار الرصّافة بما حوته من أبهاء وسرادقات ومساجد وحدائق. هذه الأخيرة التي كانت تبرز منظرا رائعا وشعورا بالراحة في نفس الناظر لها من خلال نوافذ

1- شفيق أمين بعارة : المرجع السابق، ص31-55.
2- سلمى الخضراء الجيوسي : المرجع السابق، ص903-904- 1422.
3- شفيق أمين بعارة : المرجع السابق، ص27.

القصر المتعددة المطلّ عليها، مجسّدةُ مشهدا فنيّا عمرانيا بديعا، خصوصا ما تعكسه من صور بركة الماء التي تحتويها الحديقة في وسطها[1].

وحتى القلاع هي الأخرى نالت حظّها من التزيين كالقلعة التي كانت مقر زعيم المرابطين ابن سعد بن مردنيش الواقعة في منطقة زراعية واسعة بها بحيرة صناعية وحدائق غناء. ويحيط بها سور مستطيل الشكل. كما تشتمل على طريقين يقسمان الحديقة على أربعة أقسام مكوّنة شكلا هندسيا رائعا، وأحواض عميقة للزهور، وعلى جانب الطريقين مباني سكنية متقطّعة تبرز فناءً مخطّطا في غاية الدقّة والجمال[2].

ومن شدّة اهتمام خلفاء الأندلس بإحاطة قصورهم الجميلة بالحدائق، اتّخذوا حدائق خاصة بحريمهم عُرفت بحدائق الحريم. وهذه الحدائق مخصّصة فقط لنساء القصر في زوايا محددة منه، وكانت غنيّة بالورود والأزهار. ولم تكن هذه الحدائق كبيرة بحجم الحدائق الموجهة للعامة بل كانت حدائق صغيرة، ومنها حديقة السرو المجاورة لقصر الحمراء بغرناطة على عهد ملوك بني الأحمر[3].

ولا نغفل أيضا، عن تلك الحدائق الباهية التي تحتويها الحاضرة قرطبة والتي كانت من بناء عبد الرحمن الداخل، إذ ظلّت تلك المدينة محاطة بالحدائق والمتنزهات حتى تاريخ سقوطها في يد النصارى[4]. وكذا قصر الزهراء بالأندلس الذي يعدّ هو الآخر شاهدا على ضلوع الأندلسيين في هذا النوع من الفنون المعمارية بما فيه من حمامات وضروب الجنان والمجالس البديعة[5]. وقصر الحمراء العامر بالحدائق داخل الأسوار وخارجها، وبالبساتين الغنية بالأشجار والأزهار[6]، ونوافير المياه على أشكال حيوانات تخرج من أفواها المياه ؛ ما يجعل رذاذ المياه يندفع بقوة

1- سلمى الخضراء الجيوسي : المرجع السابق، ص 868-888.
2- سلمى الخضراء الجيوسي : المرجع السابق، ص 874-875.
3- شفيق أمين بعارة : المرجع السابق، ص 33-34.
4- كولان . ج . س : الأندلس، ترجمة دار المعرف الاسلامية، ابراهيم خورشيد و آخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ودار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، 1980، ص150.
5- ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج2، تح، ج س . كولان و إ . ليقي بروقنصال، ط 3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ص333.
6- سلمى الخضراء الجيوسي : المرجع السابق، ص1414.

فيصيب النباتات والأزهار المحيطة به فتحافظ على اخضرارها. وهو الوضع نفسه بالنسبة لقصور إشبيلية وغيرها من حواضر الأندلس الاسلامية[1].

ولو رجعنا إلى العوامل التي ساعدت على ازدهار هذا الفن المعماري ببلاد الأندلس لوقفنا على أن الطبيعة الجغرافية للمنطقة كانت هي في حدّ ذاتها من أبرز تلك العوامل، ذلك أنّ مناخها المناسب المُتميّز بكثرة الأمطار وطبيعة تضاريسها وانحصارها بين مياه البحر والمحيط هيّأ أسباب فرض استمرارية اخضرار غطائها النباتي الكثيف. بالإضافة إلى العامل البشري المتمثّل في تطورّ العلوم والفنون وبراعة أصحابها، وامتلاكهم الحسّ والذوق الجمالي الرفيع، الذي سمح لهم بالابتكار والابداع واستلهام مكنونات الطبيعة الخلابة واستنباط المعاني الجمالية التي جاء بها الدين الاسلامي في مجال الحفاظ على البيئة واستثمار الخبرات في خدمتها. ولعلّ في أوصاف الرحالة ما يشفي غليلنا بشأن ما تمتلكه هذه الحاضرة من مقومات، على غرار ما جاء به ياقوت الحموي بأنها بلاد تغلب عليها المياه الجارية والأنهار الكثيرة التي تخترقها الأشجار المثمرة وتتخللها البساتين الفسيحة والرياضات والقصور المحدقة بها، ناهيك عن سعة أحوال ساكنيها [2].

5- بناء الحدائق الاسلامية الجزائرية بين الهندسة المحلية والاقتباس الأندلسي :

لقد مرّ بنا في دراستنا هذه أنّ العمران الاسلامي الجزائري عرف تطورا ملحوظا خلال العصر الوسيط، ولمسنا أيضا اهتماما ملحوظا من طرف القائمين على بلاد المغرب الأوسط بالجانب الجمالي للعمارة الاسلامية في ما تعلّق ببناء الحديقة وغيرها من المتنزهات ومنشآت الترفيه والتسلية. ففيما تجلّت يا ترى مظاهر ذلك الاهتمام بهذا النمط الهندسي في مجال العمارة؟ وإلى أيّ حدّ تأثرت بالعمارة الحدائقية الأندلسية ؟

إنّ الدارس لتاريخ العمارة الاسلامية بمدن المغرب الأوسط ليقف على اهتمام كبير من طرف أصحابها بمختلف الفنون التي عرفتها الحضارة الاسلامية في مجال البناء والتحصين والزخرفة والتزيين، بيد أنّ ذلك الاهتمام قد تفاوت من كيان سياسي لأخر، تماشيا مع طبيعة النظام السياسي الحاكم والرقي الحضاري الذي بلغته دولته. فإذا كان تطور العمارة الاسلامية بجزائر

1- للمزيد حول ما بلغه الفن العمراني الأندلسي، أنظر : كولان : المرجع السابق، ص150 وما بعدها.
2- ياقوت الحموي : معجم البلدان ياقوت شهاب الدين أبي عبد الله الرومي الحموي :معجم البلدان، مج1، دار صادر، بيروت، 1397هـ-1977م، ص262.

العصر الوسيط قد عرف حركية متزايدة، فإنّ البساطة هي السمّة البارزة التي طبعت عمران تاهرت الرستمية في السنوات الأولى من تاريخ تأسيسها لتأخذ في التنامي في فترات لاحقة. بيد أنّ هذه الحركية قد برزت ملامحها بشكل جلّي مع اعتلاء أمراء بني حماد عرش السلطة ؛ فكانت قصور القلعة الحمادية الشامخة من النماذج الحيّة على براعة الفن المعماري الاسلامي في مجال البناء والتشييد، ناهيك عن تلك الحُلّة الجميلة التي ألبسها القائمون على القلعة قصورها ومساجدها ومنازلها، على غرار قصر المنار، قصر الكوكب وقصر السلام حين أُجريت حولها المياه والبساتين والرياض لتزيينها[1].

أمّا في مدينة بجاية التي امتازت بكثرة جبالها ووفرة أنهارها فإنّ ملوكها من بني حماد قد عنوا عناية فائقة باستثمار خيراتها، من خلال تشييط الفلاحة وإحياء الأراضي، وتزيين بوادي وضواحي المدن والقرى بالمزارع على اختلاف أنواعها، ونصب الارحاء على أرجاء الأودية والجداول، والتكثيف من غرس البساتين والرياض الجامعة لأنواع الأزهار والنباتات المتنوعة، إلى جانب الأبنية العجيبة المؤنقة والمدائن العظيمة المشيّدة كالقصور والمساجد[2]. وحافظت المدينة على نمطها المعماري وزخارفها الباهية أيام السيادة الموحدية على البلاد الجزائرية "المغرب الأوسط" ولو بدرجة أقلّ ممّا سبق، ذلك أن عناية الموحدين الكبيرة كانت بعمران وحضارة المغرب الأقصى في الوقت الذي قلّ اهتمام ولّاة أمورها بالعمارة وفنونها على أرض المغرب الأوسط.

بيد أنّ ذلك ما كان يعني اغفالهم بشكل تامّ لكل الجوانب الحضارية لهذه المنطقة، إذ عني القائمون على بجاية وتلمسان من دولة الموحدين بمظاهر البناء والهندسة المعمارية كفنون الزخرفة والنحت والنقش، فازدهرت العمارة وبلغت من التفنّن مبلغا عظيما حسبما يُعلم ممّا بقي منها قائما. كما اهتمّوا كثيرا بالغراسة وإقامة البساتين والحدائق واعتنوا بها عناية كبيرة بلغت من الرونق والتأنق الفائق[3]. وحسبنا تدليلا ما ساقه ابن خلدون راسما من خلال نصوصه ملامح ذلك التأنق والرونق والابداع الفني المعماري، على غرار ما قام به عبد الله بن عبد المؤمن من

1- عبد الرحمن ابن خلدون : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، ضبطه، خليل شحادة، راجعه، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1420ه /2000، ص232.

2- ابن خلدون : المصدر السابق، ص 232، مبارك بن محمد الميلي : تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، ج2، تقديم و تصحيح، محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص259.

3- محمد المنوني : حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1989، ص160.

جهود لإعادة تعمير مدينة بجاية وتجديد بنائها بعد الخراب الذي طال مظاهر العمران الرفيع والبديع الذي شيّده أمراء بني حماد بها[1].

ولم يغفل سادة الدولة الزيانية عن مظاهر الزينة والجمال الفني في مجال البناء وفنونه، ذلك أنّهم شيّدوا قصورا ومباني عظيمة "فكانت القصور الضخمة والمدارس الفخمة وإقامة المصانع والمتنزهات"[2]. ثم ينقلنا ابن خلدون لنقف على مدى اسهام قادة دولة المرابطين في مجال الحضارة التلمسانية، بلمسات فنية من ابداع الفنانين والمهندسين المعماريين الأندلسيين الذين استقدمهم أمراء المرابطين إلى تلمسان، من خلال نصّه حين قال : "وكانت قصور الملك بتلمسان لا يعبّر عن حسنها. اختطّها أبو حمو الأول وابنه أبو تاشفين. واستدعيا الصناع والفعلة من الأندلس. فبعث إليهما أبو الوليد بن الأحمر بمهرة البنائين استجادوا لهم القصور والمنازل والبساتين بما أعيا عن الناس بعدهم أن يأتوا بمثله"[3]. ونبقى مع نصوص ابن خلدون الذي يرسم لنا لوحة فنية جميلة أبدع فيها ملوك تلمسان على عهد آل زيان في مجال الهندسة المعمارية وفنونها، قائلا : "ولم يزل عمران تلمسان يتزايد وخطتها تتسع فالصروح بها بالآجر والفهر تعلى وتشاد إلى أن نزلها آل زيان . . . فاختطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه"[4].

وتكون مدينة بجاية في فترة حياة الحسن الوزان الفاسي -على الرغم من قلة أراضي الزراعة الخصبة بها- المدينة الحافلة بالصروح المشيّدة الحسنة البناء، والدور الجميلة في كلّ الأنحاء، والفنادق والمارستانات وما يحيط بها من بهاء، وأسواقها الجميلة المنسقة أحسن تنسيق وحدائقها الغنّاء، وقلاعها الحصينة المزخرفة جدرانها بالجصّ المجزّع والخشب المنقوش المزدان بألوان اللازورد العجيبة والفسيفساء. ويُحيط بالمدينة عدد لا يُحصى من الحدائق العامرة بالأشجار، لا سيّما من جهة الباب المؤدي إلى ناحية الشرق[5]. وعلى أساس هذا تبدو بجاية خلال القرن السادس عشر الميلادي بما تحوزه من مقومات طبيعة وبشرية فنية، المدينة المحاطة بالحدائق الكثيرة الباهية الدائمة الاخضرار ما يعكس اهتمام أهاليها والقائمين على أمرها بهذا الجانب الفني بما يملكونه من حسّ فنيّ راق ينجلي في طريقة تزيين القصور والمساجد والبيوت، وما

1- ابن خلدون : العبر، ج6، ص 232.
2- مبارك بن محمد الميلي، ص 485.
3- ابن خلدون : العبر، ج7، ص 104.
4- المصدر نفسه، ص 105.
5- الوزان الفاسي : المصدر السابق، ص 50 .

يلحقونه بها من بناء لفضاءات التسلية والتنزه والترفيه يحاكون به رقي الحضارة الأندلسية أيام ازدهارها.

وبشأن التأثير الأندلسي على نمط بناء الحدائق الاسلامية بالمدن الجزائرية في الفترة الوسيطة، يذكر العلامة ابن خلدون أنّ أهل الأندلس افترقوا في الأقطار، عندما تلاشي ملك العرب المسلمين بها ومن خلفهم من البربر، حين تغلّبت عليهم أمم النصرانية، فانتشروا في عدوة المغرب وإفريقية، من لدن دولة المرابطين إلى عهده. ويضيف أنّهم شاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع[1]. كما يشير أحد الدارسين الجزائريين المحدثين أنّ أوّل هجرة أندلسية نحو الجزائر "جزائر الثعالبة" هي تلك التي أعقبت سقوط سرقسطة البيضاء عام 512هـ/1120-1121م أين استقروا في أعالي مدينة الجزائر بالمنطقة المعروفة "بحي الثغريين"، ولا تزال هذه الهضبة التي استوطنها الأندلسيون تحمل اسمهم إلى اليوم. وحسبما يورد، فإنّه إليهم يعود الفضل الأكبر في إحياء المنطقة والقضاء على أحراش بوزريعة واستصلاح غابات المنطقة. كما أثرى هؤلاء بلاد الجزائر بما يملكون من مناهج وتقنيات في مجال الزراعة والصناعة والجهاد البحري. بل وساهموا أيضا في تطوير ميناء بجاية وأسطول الدولة الحفصية أيام السلطان أبي العباس أحمد، وتطوير فعاليته في مواجهة الأساطيل البحرية بغرب المتوسط على عهد أمير البحر محمد بن أبي مهدي، الذي جعل من مدينة بجاية أكبر قاعدة لانطلاق الغارات على السواحل الأوروبية[2].

وما دام أنّ هناك تأثيرا ملحوظا للحضارة الأندلسية من طرف أبنائها المهاجرين على النمط العمراني الجزائري في شتى فنونه، فإنّنا نعتقد أنّ فن بناء الحدائق الاسلامية قد أخذ حظه الوافر هو الأخر من ذلك التأثير الحضاري، الذي ينضاف إلى الصبغة الفنية المحلية التي طبعت تخطيط العمارة الاسلامية الجزائرية ومنها بناء الحديقة. ونشير في هذا المقام أنّ نمط العمارة بمدن الجزائر الاسلامية في عصرها الوسيط يشكّل جزءً لا يتجزأ ممّا يجسّده في النهاية نمط العمارة الاسلامية ببلاد المغرب والأندلس على حدّ سواء، على الرغم من تلك الصبغة المحلية التي تميّزها في بعض مظاهرها عن غيرها، والتي اقترن تنوّعها بالسلطة السياسية الحاكمة والطبيعة الجغرافية ومصدر الخبرة والابداع الفني.

1- ابن خلدون : العبر، ج 6، 401.

2- محمد الأمين بلغيث : فصول في التاريخ و العمران بالغرب الاسلامي، أنتير سينيي، الجزائر، 1428ه /2007م، ص63.

ونبقى في مضمار الهجرات الأندلسية إلى أرض المغرب الأوسط فنقول : أنّ تلك الهجرات المبكّرة لم تكن بحجم تلك التي صاحبت أو أعقبت فترة نهاية الحكم الاسلامي بالحاضرة الأندلسية بسقوط آخر معاقلها غرناطة بني الأحمر سنة 897ه/ 1492م، ذلك أنّ عمليات الطرد والتهجير القصري في حق العناصر الأندلسية من طرف النصارى أو بالضغط عليهم قصد الانسلاخ عن هويتهم العربية الاسلامية والاقبال على الديانة النصرانية حتّمت على العناصر الأندلسية البحث عن فضاء آمن يؤوي عائلاتها بمعتقداتها ويكون ملاذها الآمن. فكانت من بين البلاد الاسلامية التي حلّ بها الأندلسيون -خاصة الموريسكيون منهم- وآثروا الاستقرار فيها أرض الجزائر، خصوصا بمدنها الساحلية على غرار وهران مستغانم أرزيو تلمسان قلعة بني راشد ومازونة وندرومة بالجهة الغربية. أما من ناحية الشرق الجزائري فقد استقرّت الجاليات الأندلسية بمدن : ببجاية وجيجل والقل وقسنطينة وبونة (عنابة) والقالة[1]. في حين استقرّت بالمدن الوسطى من أرض الجزائر الأسر الأندلسية في مدن : الجزائر والبليدة والقليعة وشرشال وتادلس ومليانة والمدية ومازونة وإقليم متيجة. وكان من زمرة هؤلاء المهاجرين طبقة الفنانين والمهندسين المعماريين[2].

ولقد عاد استقرار هذه العائلات الأندلسية في الجزائر بالفائدة الثقافية والفنية الجمّة عليها، حين أسهمت بشكل ملحوظ في نقل معالم الحضارة العمرانية بمختلف فنونها إلى البلاد التي سكنتها[3]. فيذكر أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي أنّ العمارة الجزائرية خلال الفترة الحديثة من تاريخ البلاد بما حوته من جسور ومساجد ودور وقصور قد استمدّ بُناته طريقتهم من "حضارتهم القديمة التي عاشت أيام الأغالبة والحفصيين والزيانيين. كما استمدّوه من حضارة الأندلس التي تشترك في كثير من الخصائص مع حضارتهم. وقد هاجر الأندلسيون أنفسهم إلى الجزائر وجلبوا معهم صناعة العمارة الاسلامية فكان تأثيرهم عظيما ولا سيما في البناء والقصور"[4].

1- بلغيث : المرجع السابق، ص70.
2- ليلى أحمد نجار : "المغرب و الأندلس في عهد المنصور الموحدي دراسة تاريخية و حضارية"، أطروحة دكتوراه، ج2، جامعة أم القرى، العربية السعودية، 1409ه /1989م، ص538.
3- كمال السيد أبو مصطفى : دراسات في تاريخ وحضارة المغرب و الأندلس، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، مصر، 1997، ص03 .
4- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص446.

فكانت مدينة القليعة أحد النماذج التي جسّدت التأثير الأندلسي على العمران الجزائري[1]. بالإضافة إلى تأثيرها على بناء الأحياء والقصور، وغيرها من المباني التي حاكوا بها الفن العمراني السائد في بلاد هم التي هجروها، وفي طليعتها بناء المتنزهات والحدائق الاسلامية على الشاكلة الأندلسية، كتلك التي زيّنت فحوص مدن : الجزائر وتلمسان ووهران. إذ برع في تصميمها وهندستها حرفيون وفنانون معماريون أندلسيون تركوا بصمات الفن المعماري الأندلسي في العمارة الاسلامية الجزائرية، التي لا تزال إلى اليوم شاها حيّا على براعة ذلك الفن.

كما لم تخل بيوت وقصور الأندلسيين المستقرّين بالجزائر من تزيينها بالحدائق البديعة المزخرفة بالرسوم والنباتات التي تتوسط أفنيتها، وكذا نوافير المياه الدائمة التدفق[2]. ففي مدينة الجزائر يذكر سعد الله أن منازلها خلال العهد العثماني كانت تمتاز بكثرة الأبواب الواسعة والغرف الفسيحة والأرضية الرخامية والردحة والباحة التي تصبّ فيها في العادة فوارة . . . أمّا في القصور فقد استعملوا أيضا النقوش الرشيقة والحدائق والمياه وتماثيل الحيوانات والفوارات، بالإضافة إلى جلب المواد المرمرية الملونة والتفنّن في الأشكال الهندسية"[3]. ونبقى مع جانب التزيين لنقف على أنّه انتشر عند أهل الحضر وأثرياء المدن وبعض رجال العلم عادة بناء الأحواش في بساتينهم التي يحوزونها خارج المدينة ويزيّنونها ببعض الآلات الموسيقية والزرابي الرفيعة وجلود الحيوانات النادرة والتحف الفضية والذهبية والساعات وغيرها[4]. وهو ما يدلّ على تطوّر الحس الفني والذوق الرفيع لدى هؤلاء لإضفاء الصبغة الجمالية على محيط المساكن والقصور والمساجد، وكذا الحدائق والبساتين والمزارع.

ومع مطلع عهد الحكم العثماني للجزائر، لمسنا اهتماما ملحوظا في مجال فن بناء الحدائق والمتنزهات للتسلية والترفيه، خاصة في مدينة الجزائر التي زُيّنت بالحدائق والبساتين وغيرها من الجنات الأرضية المحيطة بها، ما جعلها تُضفي على طابعها العمراني جمالا ورونقا فريدا باخضرارها الدائم وتخطيطها المبدع. كما شكّلت هذه الحدائق والبساتين أيضا مصدرا للغذاء

1- بلغيث : المرجع السابق، ص79.
2- للمزيد أنظر : سلمى الجيوسي : المرجع السابق، 1414.
3- سعد الله : المرجع السابق، ص447-448.
4- سعد الله : المرجع السابق، ص448.

بالنسبة لأهل مدينة الجزائر من تلك الأشجار المثمرة المغروسة بتلك الحدائق، ناهيك عن الاستفادة من لحوم الحيوانات التي كانت تُربّى بها.

أمّا فحوص المدينة خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر للميلاد فكانت هي الأخرى حافلة بالحدائق البديعة ذات المناظر الجميلة الغنية بأشجار البرتقال والليمون والكروم وغيرها من الأصناف. بالإضافة إلى غابات الأزهار والورود المزهرة طيلة أيام السنة متخللة نباتات تلك الحدائق. إلى جانب العيون والينابيع والسواقي والآبار، وتلك السهول والمنحدرات والتلال. ومن خلال الصورة الجميلة التي تتركها تلك المناظر الخلابة في نفس الناظر، نسوق رأي أحد الأوربيين الذين وقفوا على جمالها بمدينة الجزائر خلال القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر للميلاد)، والذي ذكر أن عدد بساتينها يزيد عن العشرة آلاف بستان، بل ويضيف أيضا أنّه لم يشاهد أحسن من حدائق الجزائر ببساتينها واخضرارها وعيونها وفواكهها، من خلال ما وقف عليه من مدن العالم التي زارها سواء ببلدان افريقيا أو أوربا وحتى أسيا وجنوب أمريكيا. أمّا الأب "دان" فقدّر عدد الحدائق المحيطة بمدينة الجزائر خلال نفس القرن بحوالي ثمانية عشر ألف حديقة[1].

وقد كانت تلك الحدائق والبساتين الفسيحة مقصد الأفراد على اختلاف أجناسهم وأعمارهم رجالا ونساء وأطفالا في أوقات فراغهم للاستمتاع بجمال مناظرها من طبيعة خضراء إلى خرير المياه فزقزقة العصافير، وما يبعثه ذلك المنظر من راحة في نفس الناظر إليها. كما تضمّنت فضاءً مخصّصا للألعاب بما تحتويه من مراجيح خاصّة بالأطفال، المُشكّلة من الأوتاد الخشبية المرفوعة عن سطح الأرض، والمثبّتة بشكل محكم. بالإضافة إلى استغلالها في إقامة الحفلات والأعياد الدينية، وغيرها من الأفراح على غرار الاحتفال بمناسبة عيد الفطر الذي تخرج فيه بعض العائلات الجزائرية إلى تلك الحدائق لتشارك فرحتها مع غيرها من عائلات مدينة الجزائر[2].

5- خصائص ومكونات الحدائق والمتنزهات :

تتكوّن الحدائق والمتنزهات الرائعة المزيّنة للمدن الجزائرية في الفترة الوسيطة -التي لم تكد تخل منها أيّ حاضرة من حواضرها- من مجموعة من

1- نادية مباركي : "دور الحدائق والمقاهي في توفير وسائل الترفيه والتسلية لمجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة حوليات مخبر التاريخ و الجغرافيا، العدد الرابع، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2011، ص198-199-200.
2- المرجع نفسه، ص206-207.

العناصر المميّزة لها عن غيرها من الحدائق التي اشتهرت بها الحضارات الأخرى، ومن تلك الخصائص، ما نذكره في ما يأتي تبعا :

- الأرضية المرفوعة والري بواسطة ضغط الجاذبية[1].

- اقامة العرائش من الأخشاب وجذوع الأشجار لتوفير الظل، وأحيانا أخرى لتعريش النباتات المتسلقة كالعنب[2].

- هناك حدائق لأصحاب السلطة، منها ما خصّصها أصحابها لإبراز قوة وعظمة سلطانهم وتخليدا لذكراهم في نفس الوقت، وحدائق المتعة التي أقاموها لهم ولحاشيتهم، وحدائق خُصّصت للمزارات الدينية في مختلف مناسباتها[3].

- أحاطتها الأسوار العالية من الحجارة والأشجار المثمرة كأشجار النخيل والبرتقال والليمون والسرو والسدر، وغيرها من أشجار الفاكهة التي تتخللها الأبواب. مع الأخذ بعين الاعتبار أنّهم كانوا يُراعون عند غرس هذه الأشجار شرط ملاءمتها مع البيئة المحيطة بها. وكانت الوظيفة الرئيسة لهذه الأسوار تكمن في فصل البيئة الداخلية عن الخارجية وتحديد ملكيتها عن ملكية الأفراد، وكذا للحفاظ عليها وحمايتها من الحيوانات، وكل ما يمكن أن يُفسد فيها من جهة، بالإضافة إلى إضفاء الصبغة الجمالية عليها من جهة أخرى[4]. وكانت الحدائق في بعض الأحيان محاطة بالمنازل من كل جهة ما جعلهم يستغنون عن الأسوار[5].

- تتخلّلها الطرق الخاصة بالمارّة المتنزّهين والقائمين على خدمتها، موزعة بشكل منظم واضح المعالم، تمكّن القائمين عليها من القيام بعمليات ريّها وتنظيفها والعناية الدائمة بها[6].

- تُبنى بها مقاعد الجلوس والدرجات المزخرفة والأرائك الخشبية البسيطة المرتفعة عن سطح الأرض، المغطاة بالبلاط المزجّج. ومنها ما كانت في الأماكن المظلّلة تحت الأشجار والجدران لراحة المتنزهين، على غرار ما تمدّهم به من ملمس البرودة في الحرّ والرّاحة من التعب[7].

- بناء العيون وأحواض المياه المزخرفة الخاصة بالشرب أو السقي.

1- سلمى الجيوسي : المرجع السابق، ص1411.
2- شفيق أمين بعارة : المرجع السابق، ص85.
3- المرجع نفسه، ص62 وما بعدها.
4- سلمى الجيوسي : المرجع السابق، ص1418.
5- شفيق أمين بعارة : المرجع السابق، ص 62 وما بعدها.
6- سلمى الجيوسي : المرجع السابق، ص1412.
7- شفيق أمين بعارة : المرجع السابق، ص32.

- اقامة الحدائق على الطراز الهندسي المتعدّد الأشكال الهندسية المربعة أو المستطيلة، وإن كان الشكل الهندسي المستطيل هو الذي طغى على أغلب الحدائق، خاصة منها الأندلسية[1].

- اقامة الحدائق على أفنية القصور وبين جدران حجراتها المتعددة، وترك الجداول تجري من تحتها[2].

- تكثر في الحدائق النوافير ذات الأشكال الحيوانية كالأسود ورؤوس الخيل المصنوعة من البرنز والمرمر[3]، وبرك المياه المستطيلة الأشكال ذات الأطر المقوّسة المتعرّجة الحواف المبنيّة بآجر من الفخار والخزف، والمربوطة بسواقي المياه المتعدّدة المنطلقة من البركة المركزية التي يمتدّ بعضها حتى خارج جدران الحدائق والمتنزهات لتغذية البرك الواقعة على الجانب المقابل، شأن ما كان موجودا في مدينة الزهراء وقصر يوسف الثالث الذي بُني خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي[4].

- أُستخدمت في تزينها النباتات العطرية الزاهية المتعدّدة الألوان والروائح.

- زُينت بأشكال هندسية خشبية فنّية تمّ رسمها ونحتها وزخرفتها[5].

- كانت بمثابة مشاتل للنباتات المتنوعة.

- أُقيمت في بهوات القصور، تتوسّطها برك المياه في الغالب[6].

- كان من المواضع التي انتشرت بها الحدائق والمتنزهات المناطق المرتفعة وحول المياه. وتستدعي منّا هذه النقطة الوقوف عندها قليلا، لنبرز أنّ مُصمّميها قد استلهموا ذلك من المعاني السامية التي جاء بها القرآن العظيم. فلو رجعنا إلى قوله عز وجل (ومَثَلُ الّذينَ يُنْفقُونَ أَموالَهُم ابتغَاءَ مَرضَاة اللّه وتَثْبيتًا منْ أَنْفُسهمْ كَمَثَل جَنَّة برَبْوَةٍ أَصَابهَا وَابلٌ فَأتَتْ أُكُلَهَا ضعْفَين فإنْ لمْ يُصبْهَا وَابلٌ فَطلٌّ واللّه بمَا تَعْمَلُونَ بَصيرٌ)[7]. إذ نلحظ أنّ المهندسين المعماريين المسلمين لم يغفلوا عن تلك الاشارة الدقيقة التي تضمّنتها الآية الكريمة بشأن موقع الجنّة بالربوة، وما ينطوي عليه هذا الموقع المرتفع من سطح الأرض من أهمية بالغة في تحقيق الانتاج الزراعي الوفير

1- سلمى الجيوسي : المرجع السابق، ص874.
2- مبارك الميلي : المرجع السابق،ص333.
3- سلمى الجيوسي : المرجع السابق، ص1423.
4- كولان :المرجع السابق، ص173، سلمى الجيوسي : المرجع السابق، ص1423.
5- سلمى الجيوسي : المرجع السابق، ص903-904.
6- المرجع نفسه، ص886.
7- سورة البقرة : الآية 265.

على اختلاف المواد المزروعة به. ومنه اتّخذوا من مثل تلك المرتفعات مواضع لبناء الحدائق والمتنزهات، وتسييجها بالأسوار والأشجار على نسق منتظم. ثم إنّه من الشروط التي ينبغي توافرها في الموضع الملائم لبناء العمارة أن يتوفّر -كما يبرزه ابن أبي زرع صاحب القرطاس- على عناصر عدّة منها النهر الجاري، والمحرث الطيب، والمحطب القريب[1]. ويضيف ابن خلدون في نفس السياق بأن يكون على "هضبة متوعّرة من الجبل وإمّا باستدارة بحر أو نهر بها حتّى لا يوصل إليها إلاّ بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب منالها على العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها"[2]. وفي نصّه إشارة أيضا إلى المكان المرتفع الضروري لتوسيع العمارة بمختلف مرافقها الأساسية. وهو ما نقف عليه أيضا من خلال نص ابن الفقيه الذي يرى أنّ الموقع الأنسب للعمارة ما كان على الجبال، والأماكن الّتي تواجه مهب الصبا، وما كان في قعور وأغوار ومواجهة ريح الجنوب لأن فيه صلاحا للأبدان نتيجة سرعة طلوع الشمس وضوئها على ساكنيها[3].

ونشير من خلال هذه النصوص الهامّة أنّ العوامل الجغرافية تلعب دورا لا يستهان به في توجيه النسيج العمراني للمدينة الاسلامية وفي طليعتها الموقع المرتفع الذي يعدّ الأصلح للتعمير، إذ يمنع عن ساكني تلك المدينة انتشار الأمراض والأوبئة لطيب الهواء فيها خصوصا إذا كثُر الساكن بها[4]. إضافة إلى عنصر الماء الذي يعدّ هو الآخر في غاية الأهمية في اختيار الموضع الأنسب لاختطاط أيّ مدينة من أجل تلبية حاجاتها من هذا العنصر الهام في بناء

1-علي ابن زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1972، ص 33، و للمزيد أنظر : شمس الدين محمد المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علّق عليه، محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ-2004م، ص 44.

2- عبد الرحمن ابن خلدون : المقدمة، دار ابن الهيثم، القاهرة، مصر، 1426ه /2005م، ص 279، و للمزيد من التفصيل، أنظر : مصطفى الشكعة : المغرب والأندلس آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1407هـ-1987م، ص 255-256.

3- زكرياء بن محمد القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، (د. ت)، ص08، و للمزيد، أنظر : محمد محمدين : التراث الجغرافي الإسلامي، ط3، دار العلوم للطباعة و النشر، الرياض، السعودية، 1419هـ-1999م، ص 301.

4- أنظر : عبد الأحد السبتي و حليمة فرحات : المدينة في العصر الوسيط قضايا و وثائق من تاريخ الغرب الاسلامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1994، ص16.

المجتمعات[1]. وهو ما راعاه أيضا مهندسو العمارة الاسلامية عند إقامتهم الحدائق والمتنزهات في مثل تلك المواضع.

5- وظائف الحدائق والمتنزهات ومدلولاتها الرمزية :

تشكّل الحدائق والمتنزهات بالمدينة الاسلامية الجزائرية بشكلها الهندسي المستوحى من عمق الحضارة الاسلامية وهندستها الراقية وجمالية تصميمها واختلاف مكوناتها، فضاء جميلا يستهوي الناظر ويجلبه إليها. وهو ما جعلها تُؤدي جملة من الوظائف منها : أنّها تجعل الناظر إليها يعيش لحظات المتعة والدعة والاسترخاء في ظل المناظر الجميلة، والهدوء المخيم، والروائح الطيّبة العطرة التي تبعث على الراحة النفسية، وهذا ما يعرف بالوظيفة الجمالية. أمّا وظيفة التكييف البيئي، فذلك أنّ الحدائق تعتبر الرّئة الخضراء للحواضر المكتظّة بالسكان' عندما تكثّف بحدائها الأشجار خاصة الطويلة منها ما يمنع من دخول الغبار إلى المنازل والقصور، كما تلقي بالظلال عليها[2].

وفي مجال الوظيفة الترفيهية، كانت الحديقة ملتقى الفنانين من الشعراء والرسّامين والموسيقيين، وفيها تتداول النخب العلمية الأفكار وتتدارس تفاصيل ما يقع من أحداث في البلاد. هذا ويضاف إليه كونها مسرح لإقامة الحفلات الموسيقية التي يرومون من ورائها الترفيه عن الذات على ايقاع الموشحات والطرب الأندلسي[3]. فعلى سبيل المثال كان يُسمح للعامة بإقامة الاحتفالات والأعياد بحديقة قصر الزهراء بالأندلس الذي تحيط به حديقتان كانت الواحدة أعلى من الأخرى، وتحتوي الحديقة العليا للقصر على حوض مائي كبير محاط بأحواض صغيرة ويفصل بينها، وبين الحديقة السفلية منحدر يتيح للناظر مشاهدة بركة الماء المربعة الكبيرة[4]، كما كانت تقام أيضا بحدائق مدينة الجزائر خلال العهد العثماني الاحتفالات بالأعياد الدينية وغيرها[5].

1- للمزيد أكثر أنظر : مبارك بوطارن : «مدينة تلمسان عوامل نشأتها و مراحل تطوّرها»، مجلة المبرز، العدد 10، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 1998، ص100.

2- شفيق أمين بعارة : المرجع السابق، ص91.

3- حول التأثير الأندلسي في الموسيقى الجزائرية على عهد بني حماد في بجاية، أنظر : مبارك الميلي : المرجع السابق،ص259.

4- شفيق أمين بعارة : المرجع السابق، ص27-28.

5- نادية مباركي : المرجع السابق، ص206-207.

كما تعدّ الحدائق أيضا صيدلية منزلية يستفيد أصحابها من النباتات والأزهار المفيدة لعلاج بعض الأمراض[1]. بالإضافة إلى وظيفة إنتاج الغذاء وتحقيق حاجات الأفراد نظير ما تحتويه بساتينها الغنية بالأشجار من ثمار على اختلاف أنواعها وحدائقها من حيونات[2].

ولم تقتصر وظيفة الحديقة الاسلامية على الوظائف السالفة الذكر، بل تعدّته إلى ما يراه البعض أنّ الحديقة في المجتمعات الاسلامية أخذت مفهوما مغايرا لما هي عليه عند باقي المجتمعات، ذلك أنّها لم تقتصر على العناصر الطبيعية والصناعية وما تضفيه من صبغة جمالية، إلى تجسيد رموز ومعان دينية من خلال ما توظّفه من عناصر حسّية عميقة الجذور في التعاليم الاسلامية لتقريب الزائر إلى الله، لتشكّل بذلك اندماجا بين الرسالة الدينية والدنيوية لما سيلقاه المؤمنون عند ربّهم. وهو ما يوحي أنّ المهندس المعماري المسلم قد استوحى مكونات هذا الفن الاسلامي من روح الوصف القرآني لنعيم الجنة وأشجارها وعيونها وظلالها[3].

الخاتمة

في ختام بحثنا هذا، المتعلق بالتأثير الحضاري الأندلسي على فن العمارة الاسلامية الجزائرية خلال العصر الوسيط ومطلع الفترة الحديثة في مجال بناء الحدائق الاسلامية، بخصوصيّاتها وأنماطها وعناصرها، ومختلف وظائفها، نخلص إلى جملة من النتائج التي نحصرها فيما يأتي تبعا:

- لعبت الحديقة الاسلامية في المجتمع الجزائري دورا كبيرا في تلبية حاجاته الترفيهية، وذوقه الجمالي، وحسه العميق تجاه مكنونات الطبيعة الخلابة، وما تحمله من مدلولات رمزية. بالإضافة إلى استخداماتها المتنوعة التي تتماشى وطبيعة المجتمع الجزائري. ناهيك عن ما طبعته من صبغة جمالية على محيط المدينة الجزائرية ومختلف مظاهرها العمرانية.

- لقد أحدث الأندلسيون الذين قدموا أرض الجزائر بعد سقوط الأندلس نهضة شملت مختلف أشكال الفن في مجال العمارة الاسلامية. ولئن كان الأندلسيون قد

1- شفيق أمين بعارة : المرجع السابق، ص13.
2- نادية مباركي : المرجع السابق، ص. 206-207.
3- شفيق أمين بعارة : المرجع السابق، ص14.

تركوا بلادهم معقل العلم والحضارة والفنون التي صنعوا بها مجدهم التاريخي والحضاري الاسلامي فأنّهم أولوا اهتماما بالغا بإحياء جزء كبير من معالم تلك الحضارة على أرض غير أرض الأندلس كانت إحداها بلاد الجزائر. لتستمرّ بذلك مظاهر الحضارة الأندلسية في بيئة غير بيئتها الأصلية، ساهم في تطويرها واستمرارها أبناء جلدتها وفنانوا العمارة الأندلسية ومهندسوها.

- إذا كان الفضل يعود للمغاربة في فتح البلاد الأندلسية ونشر الرسالة المحمدية وانقاد سكانها من ضلال الديانة النصرانية فإن المهاجرين الأندلسيين إلى بلاد المغرب قبل سقوط الأندلس وبعده قد استطاعوا بمهاراتهم الحضارية في شتىّ مجالاتها التأثير بشكل جلّي على حضارة بلاد المغرب، ومنها الجزائر خاصة في الجوانب المعمارية، ومن ذلك ما تعلّق بفنّ بناء الحدائق والمتنزهات.

- تميّزت الحديقة الاسلامية خاصة بالأندلس بغناها بالعناصر والتفاصيل المعمارية وتنوع أنماطها وتصاميمها، إذ لم يطغى عليها تصميم واحد في الحديقة الواحدة، ما جعل كل زاوية فيها تتميّز عن الأخرى، وقد أثر ذلك على النمط المعماري الذي اتّبعه مهندسو العمارة الاسلامية في الجزائر بعد الهجرة الأندلسية إليها.

- كان الفنّ المعماري الاسلامي الذي جسّدته الحدائق بالمدن الاسلامية الجزائرية مزيجا بين سحر الفنّ الأندلسي والجزائري الاسلامي أيّام ازدهار الحضارة الاسلامية وانتقال المعارف والفنون بين أرجاء بلادها، والذي يوحي بسحر الماضي العريق الذي بلغه فنّ بناء الحدائق الاسلامية.

- كان اهتمام الجزائريين بالحديقة الاسلامية امتدادا لحبّهم خدمة الأرض وزراعتها، وتعبيرا عن قيمهم الدينية التي كان مرجعها دائما وأبدا الدين الاسلامي الحنيف.

- كان الطابع الأساسي الذي يُميّز الحديقة الاسلامية هو وحدة طابعها المعماري. فعلى الرّغم من اختلاف البيئة الجغرافية للبلاد الاسلامية سواء الأندلسية أو المغربية إلاّ أنّ عمارة هذه المجتمعات -ومنها الحدائق- تشترك في الكثير من عناصرها وتفاصيلها وتصاميمها، ما يجعلنا نلمس تجانسا معماريا فنيّا مُستوحى من صلب هذه الحضارة التي تستمدّ روحها ووحدتها من الدين الاسلامي، هذا الأخير الذي جمع أشتاتها.

- على الرّغم من التطوّر الكبير الذي بلغه الفنّ المعماري فيما يتعلّق بالحديقة إلاّ أنّ المادة التاريخية الكفيلة بتغطية تفاصيلها وابراز أوصافها شحيحة، سواء ما تعلق بفترة العصر الوسيط للجزائر أو حتى مطلع الفترة الحديثة من تاريخها، باستثناء ما حوته بعض المصنّفات من اشارات لا يسعها تلبية حاجات الدارس لتاريخها من كل جوانبها.

بيبليوغرافيا :

القرآن الكريم.
- سورة النحل : الآية 81.
- سورة البقرة : الآية 265.
- إبراهيم بحاز : الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، المطبعة العربية، غرداية، 1994.
- ابن الصغير المالكي : أخبار الأئمة الرستميين، تح، محمد ناصر وإبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986.
- ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، جـ. 2، تح، ج س. كولان وإ . ليقي بروفنصال، ط. 3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983.
- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن، جـ. 1، مكتبة نزار مصطفى الباز.
- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، جـ. 2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1998.
- الإدريسي : الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج. 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1414هـ-1994م.
- الحسن بن محمد الوزان الفاسي : وصف افريقيا، جـ. 2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط. 2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1983.
- جمال الدين ابن منظور : لسان العرب المحيط، مج. 2، قدم له، يوسف خياط، دار الجيل ودار لسان العرب، بيروت، 1408هـ-1988م.
- رشيد بورويبة : «الفن الرستمي بتاهرت وسدراتة»، مجلة الأصالة، العدد 41، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1397هـ-1977م.
- زكرياء بن محمد القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، (د. ت).
- سلمى الخضراء الجيوسي : الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس، جـ. 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1998.
- شفيق أمين بعارة : "الحديقة في العمارة الاسلامية دراسة تحليلية لمدلولها الرمزي ووظيفتها المعمارية"، أطروحة ماجستير في الهندسة المعمارية، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، 2010.
- شمس الدين محمد المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علّق عليه، محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ-2004م.

- عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات : المدينة في العصر الوسيط قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الاسلامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1994.
- عبد الرحمن ابن خلدون : المقدمة، دار ابن الهيثم، القاهرة، مصر، 1426هـ/2005م
- عبد الرحمن ابن خلدون : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، جـ 6، ضبطه، خليل شحادة، راجعه، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1420هـ/2000.
- عبد الرحمن بن ناصر السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تقديم، عبد بن عبد العزيز بن عقيل ومحمد الصالح العثيمين، مؤسسة الرسالة، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1420هـ. / 1999.
- عبيد بوداود : «مساهمة علماء القلعة في الحياة الفكرية ببجاية خلال القرن السابق الهجري (13م)»، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد العاشر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1430هـ-2009م.
- علي ابن زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
- كمال السيد أبو مصطفى : دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، مصر، 1997.
- كولان . ج . س : الأندلس، ترجمة دار المعرف الاسلامية، ابراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ودار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، 1980.
- ليلى أحمد نجار : "المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي دراسة تاريخية وحضارية"، أطروحة دكتوراه، جـ 2، جامعة أم القرى، العربية السعودية، 1409هـ/1989م.
- مبارك بن محمد الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث، جـ 2، تقديم وتصحيح، محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
- مبارك بوطارن : «مدينة تلمسان عوامل نشأتها ومراحل تطوّرها»، مجلة المبرز، العدد 10، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 1998.
- مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، ط. 2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ودار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1986.
- محمد الأمين بلغيث : فصول في التاريخ والعمران بالغرب الاسلامي، أنتير سينيي، الجزائر، 1428هـ/2007م.

- محمد العبدري البلنسي : الرحلة المغربية، تحقيق أحمد بن جدو، نشر كلية الآداب الجزائرية، الجزائر.
- محمد المنوني : حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1989.
- محمد محمدين : التراث الجغرافي الإسلامي، ط. 3، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، السعودية، 1419هـ-1999م.
- مصطفى الشكعة، المغرب والأندلس آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1407هـ-1987م.
- نادية مباركي : "دور الحدائق والمقاهي في توفير وسائل الترفيه والتسلية لمجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة حوليات مخبر التاريخ والجغرافيا، العدد الرابع، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2011.
- ياقوت شهاب الدين أبي عبد الله الرومي الحموي : معجم البلدان، مج. 1، دار صادر، بيروت، 1397هـ-1977م.
- يحي بو عزيز : تلمسان، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.
- يحي بوعزيز : «مركز بجاية الحضاري ودوره في إثراء الحضارة العربية الإسلامية...»، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأوّل، المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، 1414هـ-1993م.